لغزة. أنزل المماليك هزيمة منكرة بالمغول في معركة عين جالوت، وواصلوا زحفهم إلى أن طردوا الفرنجة من باقي المدن الفلسطينية والسورية وشرقي الأردن مدينة تلو المدينة. وبيبرس هو نفسه الذي اغتال سلطانه قطز وحل محله سلطانا على بلاد الشام ومصر. وفيما استعصت عكا على الظاهر بيبرس نجح قلاوون بتحريرها ليحكمها ومعها الساحل اللبناني. وكل محاولات المؤسسة الكنسية بعدئذ لم تفلح في إثارة العاطفة الأوروبية. إذ (في أواخر الحروب الصليبية استخف الناس بدعوات البابا لتحرير الأراضي المقدسة وامتنعوا عن دفع الضرائب بإسم الجهاد المقدس ولاحظوا الفساد والترف في بيوت النبلاء)[٦٨]. وبالتالي انتهت حملات الفرنجة على الشرق العربي، بعد أن أثبتت، كما تستخلص الدكتورة الحوت، غلبة المطامع التجارية والدنيوية على الدوافع الدينية مما أدى إلى تبديد حلم البابا إقامة حكومة ثيوقراطية.

وبالتالي انهارت الى الأبد المملكة اللاتينية التي اسسها الملك بولدوين ومقرها القدس وامتدت الى بيروت والبحر الاحمر، وإن لم تسيطر الا في وقت متأخر على عسقلان التي بقيت في يد الفاطميين.

استمر عهد المماليك بين ١٢٥٠ – ١٥١٧م، وفي بدايات عهدهم، أي زمن المماليك البحرية الذين بلغ عدد سلاطينهم أربعة وعشرين معظمهم من الأتراك، نشطت التجارة والزراعة وبناء الطرق وأنشئت مكتبة في غزة وأنشئت المدارس. (ومن ميزات المماليك أنهم، كالأيوبيين، أعتنوا بانشاء مجلس للشورى، وكان عندهم محكمة للمظالم برئاسة السلطان وعضوية المذاهب الأربعة، وهي تقابل محكمة العدل العليا في عصرنا)[٦٩].

وفي المرحلة الثانية في عهد المماليك البرجية (شركس) بين ١٣٨٢ – ١٥١٦م وعددهم ٢١ سلطانا، تعرضت البلاد لهجوم من المغول بقيادة تيمور لنك، وهو الذي ترك دمشق خرابا، وتخوفا من غزو صليبي قام المماليك بتدمير عكا، عسقلان، قيسارية. وغيرها من المدن الساحلية الفلسطينية.

في عهدهم تطور فن العمارة، العلوم الطبيعية، الفلك، السلاح. وحتى اللحظة ثمة العشرات من البيوت المملوكية في القدس، كما أن الفلسطينيين توارثوا عن المماليك عادات (الاحتفال باول

---

٦٨) د. فوزي، مرجع سابق. ص١٨١

٦٩) د. بيان الحوت، مرجع سابق. ص١٢٧